مشكلات تدريس التاريخ
وسبل معالجتها

د. نايف محمد شبيب
قسم التاريخ/كلية الآداب-جامعة الموصل/العراق

قبل الحديث عن المشكلات التي تواجه تدريس مادة التاريخ لابد من الحديث وبشكل مختصر عن تحديد مفهوم التاريخ وبيان هل هو علم ام لا ، واذا كان علما فهل هو ضروري كبقية العلوم ؟ ، وما هي الفائدة المتوخاة منه ليسهل علينا امر تحديد المشكلات ؟

فاذا رجعنا الى اصل كلمة تاريخ (history) نجد انها ماخوذة من الكلمة الإغريقية هستوريا (historya) بمعنى التعلم ، وحسب ما استخدمها أرسطوطاليس فهي تعني سردا منظما لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيبا زمانيا ام غير مرتبة (1) .

اما كلمة تاريخ في العربية فانها ماخوذة من كلمة ارخ اي وقّتَ ، والتاريخ والتوريخ ، تعريف الوقت (2) ، وعرفه البعض بانه ذاكرة الماضي ومعرفته كمعرفة المستقبل تتطلب إيحاءا وشفافية روحية خاصة (3) ، ويقول كولنجود انه نوع من انواع البحث العلمي (4) .

وعلى ذلك نستطيع القول ان التاريخ هو علم دراسة الماضي، واقرارنا بانه علم يحتم وجود شروط معينة لتعلم وتعليم هذا العلم للافادة منه حاله حال العلوم الاخرى التي تفيد البشرية ، وبالتالي فان هناك اسبابا تحتم دراسة هذا العلم وتدريسه ، وان عملا كهذا لابد وان يصادف مشكلات جمة على قدر اهميته بل ربما تكون المشكلات التي نشأت وتنشأ عن التاريخ هي اخطر من المشكلات والازمات التي تنشأ عن العلوم الاخرى ، لان دراسة التاريخ

---

(1) لويس جوتشلك ، كيف نفهم التاريخ ، ترجمة عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى ابو حاكمة ، دار الكتاب العربي (بيروت : 1966) ص 55 .

(2) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر (بيروت : د / ت) ج 3 ، ص 4 .

(3) محمود الشرقاوي ، التفسير الديني للتاريخ ، دار الشعب (القاهرة : د / ت) ص 5 .

(4) ر . ج . كولنجود ، فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة : 1961) ص 41 .

تعني بشكل عام الاهتمام بماضي الامة والوطن والمجتمع فضلا عن كونها الطريق الوحيد لمعرفة ماضي اي شخصية اواسرة اثرت وتؤثر في الماضي او الحاضر (5) .

اذا المهمة بصعوبتها ومسؤليتها ستلقى على عاتق باحث التاريخ ، وعليه يجب ان يكون المؤرخ ذو معرفة دقيقة بالمكان والزمان المحددين لوقوع الحادثة التاريخية التي يريد دراستها (6) ، ولا يتم له ذلك الا بالافادة من العلوم الاخرى وتوظيفها للوصول الى اعلى نسبة من الحقيقة (7) ، وقد حدد فيكو(8) مجموعة من الشروط على المؤرخ الالتزام بها نوجزها بما يأتي (9)

1ــ توظيف الدراسات اللغوية لفهم التطور التاريخي لاي شعب من الشعوب ، لانها اداة توصيل الافكار والتعبير عنها وهي دائمة التطور والنمو .

2ــ ضرورة التعامل مع الاساطير القديمة التي كانت شائعة في فترة ما على انها امور معبرة عن (وجدان ، واسلوب تفكير ، ومعتقدات) اناس تلك الحقبة الزمنية ، وعدم النظر اليها بالعقلية العلمية المعاصرة والاستخفاف بها .

3ــ عدم التسليم بالروايات التي اوردتها المصادر تسليما كاملا او تفسيرها تفسيرا حرفيا ، بل يجب ان تُخضع للفحص والتمحيص والتحقيق فضلا عن معرفة احوال الرواة وانتماءاتهم ومقاصدهم من هذه الروايات .

4ــ قراءة الروايات في ضوء الطابع العقلي الخاص للمرحلة التي ظهرت فيها تلك الروايات لان لكل مرحلة من مراحل تطور المجتمع طابعا عاما يميز عقليات الناس فيها ويطبع انتاجهم الثقافي والفكري بطابعه الخاص .

وعلى قدر تعلق الامر بموضوع المؤتمر ومن خلال التجربة الشخصية في البحث والتدريس في التاريخ لمسنا بعض المشكلات التي تواجه مدرس التاريخ بعضها مشترك

---

(5) جوتشلك ، كيف نفهم التاريخ ، ص 201 .

(6) ادوارد كار ، ماهو التاريخ ، ترجمة احمد حمدي محمود ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة : 1962) ص15 .

(7) حسين محمد سليمان ، المدخل لدراسة علم التاريخ ، دار الاصلاح (الدمام : 1984) ص 63 .

(8) مفكر ايطالي (1668 _ 1744 م) اشتهر بارائه حول فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع التي نشرها في كتابه (العلم الجديد) الذي صدر عام 1725 م واعيد طبعه مرات عدة لاقبال الناس عليه ، وللاراء القيمة التي طرحها في هذا الكتاب عده الكثيرين مؤسسا لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ . هاشم يحيى الملاح المفصل في فلسفة التاريخ ، المجمع العلمي العراقي (بغداد : 2005) ص317 ــ 318 .

(9) كولنجود ، فكرة التاريخ ، ص 139 ــ 140 ؛ هاشم يحيى الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص 321 ــ 323 .

وبعضها خاص بمكان دون اخر ، وذلك يتوقف على طبيعة انتماء المدرس والطلاب ، او المستمعين للمحاضرة بشكل عام ، مع ان بعض المدرسين لا يأبه لمثل هذه الحالة او لم يلاحظها اصلا ! ،

ويمكن ان نجمع هذه المشكلات حسب انتماءات المجتمع الى خمس مشكلات رئيسة هي (الدينية والقومية والمذهبية والوطنية) فضلا عن المشكلات العلمية ، وترتيب هذه المشكلات من حيث اهميتها او خطورتها يعتمد على طبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع بشكل عام فلربما تتقدم المشكلة القومية على الدينية او المذهبية على القومية والدينية وهكذا ... ، اما المشكلة العلمية في دولنا فعادة ما تكون اخر المشكلات التي تخطر ببالنا مع انها تعد المشكلة الاولى في دول العالم المتقدم الذي تتكون بعض دوله من خليط قومي او ديني او مذهبي اعقد مما هو موجود في مجتمعنا ! ؟

اولا : الدينية

من المشكلات التي تواجه العاملين في الدراسات التاريخية بحثا وتدريسا هي تكوّن المجتمع في بلد واحد من اديان عدة ، فتاريخ اي دين سَيُدَرّس ؟ لان التركيز على تراث دين معين على حساب الاديان الاخرى بالتاكيد سيثير حفيظة اتباع هذه الاديان .

وبالنسبة الينا في المنطقة العربية فان غالبية المجتمع هم من المسلمين وعلى ذلك وضعت اكثر المناهج الدراسية ، تبقى ان هناك خصوصية لبعض البلدان مثل لبنان وسوريا ومصر والسودان التي تضم مجتمعاتها عددا لا باس به من المسيحيين ، فضلا عن المجتمع العراقي الذي يضم ــ فضلا عن المسيحيين ــ اقليات دينية اخرى من الصابئة واليزيديين .

وان المنهاج الدراسي بالتاكيد يتناول جله تاريخ الدولة الاسلامية بِعَدّه الاهم والاطول في المنطقة ، وقد اثار الحديث عن التاريخ الاسلامي بعض اهل الاديان الاخرى حتى اطلقت عليه بعض المواقع القبطية عبارة (الغزو الاسلامي) (10) .

لاشك ان للمسلمين دور كبير في حكم البلاد العربية وذلك باعتراف كثير من الباحثين والمحققين ، فالمسلمون من انقذ شعوب المنطقة من نير الحكومات المستبدة التي كانت تحكم البلاد العربية وغير العربية ، لكن المشكلة ليست بحكم المسلمين للمنطقة ولا بدراسة تاريخ المسلمين ، بل ــ حسب ما نعتقد ــ فيمن وضعوا المناهج الدراسية في البلاد العربية الذين تعمدوا (او نسوا) ادراج التشريعات التي بينها القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة حول الصورة التي يجب بها معاملة اهل الاديان الاخرى وهي مسألة مهمة جدا ولا سيما في البلدان

---

(10) يُراجَع على سبيل المثال لا الحصر الموقعين التاليين على الشبكة الدولية للمعلوماتية (internet) :
http://www.coptichistory.org/new_page_1523.htm
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=81408

التي تتكون مجتمعاتها من اديان اخرى من غير المسلمين ، وبقدر تعلق الامر بدراسة التاريخ يجب بيان المكانة التي حظي بها اهل الاديان الاخرى في ظل الحكومات الاسلامية ، ومن ثم دورهم الكبير في الحضارة العربية الاسلامية ، فاذا ما رجعنا الى كتب التراث العربي والاسلامي فاننا سنجد ان لاهل الاديان الاخرى ولا سيما المسيحيين منهم دورا كبيرا في كثير من المنجزات الحضارية (11) ، ويكفي في هذا المضمار ان نشير الى ان اطباء الخلفاء (وهي مكانة مرموقة ورفيعة) كان اغلبهم من غير المسلمين (12) .

لقد تم في العراق مثلا معالجة الامر بالنسبة لتدريس مادة التربية الاسلامية بالنسبة لطلاب الدرا سة الابتدائية والثانوية بان يعفى الطلاب غير المسلمين من دراسة هذه المادة ، اما في الجامعة فتم استحداث مادة الثقافة الجامعية للطلبة غير المسلمين مقابل مادة الثقافة الاسلامية التي تدرس في معظم الاقسام ، ولكن المشكلة في مادة التاريخ التي هي مادة اساسية في جميع المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية فضلا عن اقسام التاريخ في الكليات الانسانية ، اذ لا زالت مناهج التاريخ تركز على تقديم الجانب السياسي على حساب الجانب الحضاري ، وعلى ذلك نلاحظ ان توجهات الطلبة غير المسلمين ــ في الكليات الانسانية ــ تكون صوب اقسام اللغات الاجنبية او الاجتماع او الجغرافية او الحقوق او الاعلام ... الا نادرا ــ او من لا يسمح لهم المعدل ــ فانهم يأتون الى اقسام التاريخ .

ثانيا : القومية

ان فكرة القومية فكرة معاصرة ظهرت في اوربا في العصر الحديث وكانت حلا لكثير من المشكلات التي عانت منها اوربا في تاريخها المعاصر ولا سيما الصراعات الدينية والمذهبية ، فاقتبس بعض مفكرينا هذه الفكرة في القرن التاسع عشر الميلادي من اجل توظيفها ضد الحكم العثماني ، ولكن للاسف لم توظف بالشكل الذي وظفت فيه في اوربا اذ انها مزقت النسيج الاجتماعي في كثير من الدول العربية لسوء استخدامها ففي اوربا عندما يقال ــ مثلا ــ القومية الفرنسية فانها تعني كل من يحمل الجنسية الفرنسية ويتكلم الفرنسية سواء اكان فرنسيا اصلا ام لا ، وكذلك الدول الاخرى (اي مايقابل عندنا في الوقت الحاضر فكرة الوطنية تقريبا) اما في الدول العربية فان فكرة القومية سُيست واخذت بعدا اخر ركز

---

(11) للمزيد من العلومات عن دور غير المسلمين في الحضارة العربية يراجع كتاب حكمت نجيب عبد الرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، (الموصل : 1977) ؛ عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين (بيروت : 1980) .

(12) على سبيل المثال عائلة ال بختيشوع المسيحية الذين تولوا معالجة الخلفاء العباسيين منذ عهد الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور . ينظر ابو العباس بن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة (بيروت : د / ت) الباب الثامن وما بعده .

على العنصر العربي ومن ثم ولّد ذلك احساسا لدى الاقوام غير العربية بانهم ليسوا جزءا من هذه الامة لانهم غير معنيين بالامر (13) .

ونستطيع القول ان ملابسات المشكلة القومية في الوطن العربي في العصر الحديث ــ بالنسبة للتاريخ ــ هي عين ملابسات المشكلة الدينية ولكن بشكل اخر ، فمن المعلوم ان غالبية المجتمع في كثير من الدول العربية هم من العرب ، وعلى ذلك فان الحديث عن العرب (كقوم) او (كعنصر) هو امر طبيعي لا ضير فيه ، بل ان البحث فيه وتدريسه امر لابد منه وهذا ديدن جميع الدول والاقوام في كل بقاع المعمورة ، لكن المشكلة هي ان في بعض الدول العربية قوميات واقليات غير عربية (اكراد ، اتراك ، امازيغ ، احباش ... الخ) وان فرض التاريخ العربي عليهم على انه تاريخهم وبالمقابل اهمال تاريخهم وتراثهم يثير حفيظتهم واستياءهم وان لم يعلنوا ذلك لانهم لايشعرون بالانتماء الى هذا التاريخ .

صحيح ان بعض هذه الاقوام في بعض الدول تشكل اقليات صغيرة منصهرة اجتماعيا في المجتمع العربي لكن ذلك لا يعني الزامهم بالتاريخ والتراث العربي ، وعندما نتكلم هنا نريد ان نكون اكثر دقة اذ نقصد بالحديث فترة (تاريخ العرب قبل الاسلام) فهو يدخل في مناهج غالبية الدول العربية في دراسة التاريخ فضلا عن تاريخ العرب في دولة الخلافة الاسلامية (14) .

اما بعد عصر حروب التحرير والفتوحات الاسلامية وخضوع جميع اراضي (الدول العربية الحالية) وغيرها لحكم الخلافة الاسلامية فان الامر اختلف نوعا ما لان اللغة العربية اصبحت لغة ثقافة ذلك العصر (كما اللغة الانكليزية حاليا) فتعلمها الفارسي والتركي والكردي والزنجي والرومي .... على حد سواء ، وبالتالي فان مفهوم الحديث عن تاريخ الدولة العربية الاسلامية (دولة الخلافة) اتسع ليشمل كل هذه الاقوام ومن ثم ظهر من بينهم (اي الاقوام غير العربية) علماء كبار تركوا

---

(13) للمزيد من التفاصيل عن نشأة القومية ومقارنة تطبيقاتها في الشرق والغرب ينظر : شارل عيساوي ، مشكلات قومية ، دار مكتبة الحياة (بيروت : 1953) ص113 وما بعدها .

(14) ينظر : هاشم الملاح واخرون ، الدراسات العليا في قسم التاريخ ، مجلة اداب الرافدين ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، 2007 ، العدد 47 ، ج2 ، ص 62 وما بعدها .

اثارا طيبة لاتزال شاخصة ينهل منها طلبة العلم والعلماء فضلا عن ظهور كثير من القادة والحكام كان لهم ما لم يكن لغيرهم من عامة العرب (15) .

ثالثا : المذهبية

المقصود بالمذهبية هو تعدد المذاهب العقدية والفقهية داخل الدين الواحد ، ففي المسيحية مثلا يقال (كاثوليك ، ارثوذكس ، بروتستانت ...) وفي الاسلام يقال (سُنّة ، شيعة ، اباضية ...) كذلك الحال في جميع الاديان .

والصراع المذهبي الابرز حاليا في الساحة العربية هو الخلاف السني الشيعي وقد بدا ذلك جليا بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 م وان كانت جذوره تعود الى فترات سابقة ، وما يهمنا هنا العلاقة بين المذهبية ومناهج تدريس مادة التاريخ ، ففي العراق مثلا كانت المناهج ذات اتجاه عربي قومي اسلامي بشكل عام ، لكن بعد الاحتلال والتطورات التي اعقبته حدثت تغييرات عدة على كثير من المناهج ولتلافي المشكلات شكلت لجان عدة من اساتذة متخصصين من السنة والشيعة لوضع مناهج دراسة التاريخ بما يتلاءم وتوجهات الطرفين بالتركيز على المشتركات في التراث (وهي كثيرة) دون المساس بخصوصيات المذهب الفكرية .

اما في التعليم العالي سواء في الدراسة الاولية (البكالوريوس) او في الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) فان التاريخ يدرس وفق الفترات الزمنية فالتاريخ القديم (سومري ، كنعاني ، فرعوني ، اشوري ، بابلي ...) ، وكذلك تاريخ الدول العربية قبل الاسلام (دول اليمن ، كندة ، الانباط ، تدمر ، الحضر ...) لاخلاف فيه ولا اختلاف في تدريسه سوى ما يحدث في بقية العلوم من اختلافات ووجهات نظر علمية صرفة ، اما الاختلافات المذهبية فتظهر في التاريخ الاسلامي فتدريسه اصبح وفق المفهوم المذهبي ففي الجامعات السنية يُدَرس التاريخ وفق تاريخ الخلافة الاسلامية (راشدي ، اموي ، عباسي ، اندلسي ...) اي وفق ما معمول به في عموم الدول العربية ، اما في الجامعات الشيعية ولا سيما الدينية منها فان تدريس التاريخ يتم وفق فترات ولايات الأئمة عليهم السلام لعدم اعترافهم بشرعية الحكم في غير الأئمة من سلالة الحسين عليه السلام .

---

(15) للمزيد من التفاصيل عنه دور العلماء غير العرب في الحضارة العربية الاسلامية ينظر مثلا : محمد كرد على ، الاسلام والحضارة العربية ، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة : 1950) ، عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين (بيروت : 1979) ؛ محمد عبد الرحمن مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات عويدات (بيروت : 1988) .

لا شك ان هناك دولا عربية كثيرة تعاني من هذه المشكلة ، ولاسيما الدول ذات التعليم المركزي الذي يتطلب مناهج موحدة في جميع جامعات البلد مما يعني ان هناك شرائح كثيرة تُكْرَه على دراسة تاريخ غير مؤمنة به (ونحن هنا لانريد ان نحكم على اي التاريخين اصح ولا اي منهج ادق ، بل مجرد تسليط الضوء على الشرخ الذي يُحدثه تدريس التاريخ في صفوف المجتمع الواحد) وبغض النظر عن ذلك فان المشكلة لا تقف في حدود التدريس والتعليم والتعلم بل ما يترتب عليها من انشقاقات اجتماعية تنبني عليها مواقف سياسية قد تتحول في بعض الاحيان الى مواجهات مسلحة .

رابعا : الوطنية

الوطنية مصطلح حديث يراد به الكلام عن مساحة معينة من الارض يعيش عليها مجموعة من الناس قد يختلفون في الاعراق والاديان والمذاهب والقوميات ، في الغالب تجمعهم مصلحة واحدة هي الحفاظ على هذه الارض التي يعيشون فيها ، ومساحة الارض هذه تسمى (الوطن) وحدودها هي الحدود السياسية المعترف بها من الدول المجاورة وبقية دول العالم ، وقد يختلف مفهوم الوطن والمواطنة بين مجموعة واخرى حسب النظام السياسي الحاكم في كل بلد .

فمن المعلوم ان مفهوم الوطنية في الدول العربية يعني ــ فضلا عن المحافظة على امن البلد ووحدته السياسية وثرواته الاقتصادية وبنيته الاجتماعية ــ الولاء للنظام الحاكم ايا كان ، اذ يُعَد كل مواطن وان كان مخلصا لبلده لكنه غير موال للنظام الحاكم (خائنا) للوطن ، وعلى العكس فان كان غير آبه بامور الوطن وغير مخلصا في عمله لكنه موال للنظام الحكم ومناصرا له فهو من اكثر الناس وطنية !

كذلك فان شعور بعض الاقليات القومية والدينية والمذهبية بالتهميش من جانب انظمة الحكم دفع بهم لاعطاء ولاءهم الى خارج بلدانهم التي يعيشون فيها او ينتمون اليها وقد تباين نوع الولاء الخارجي او سببه فمنه دينيا او مذهبيا او قوميا ... مما احدث خللا في مفهوم الوطنية عند هذه الاقليات .

وبانسبة لموضوع البحث (مشكلات تدريس التاريخ) فان المناداة بالوطنية وان كانت لقيت آذانا صاغية لدى الكثيرين الا انها احدثت شرخا اخر لدى اصحاب التوجهات (الاممية) اي الذين ينادون بوحدة الامة العربية او وحدة الامة الاسلامية ، فدعاة القومية العربية والذين يؤكدون على وحدة التاريخ العربي قديما وحديثا ويرفضون رفضا تاما تدريس التاريخ وفق المفهوم الضيق للوطنية لانه ــ حسب قولهم ــ يرسخ عمليات التقسيم التي تعرض لها الوطن العربي بعد نهاية الحكم العثماني ومنها اتفاقية

(سايكس بيكو) عام 1916م (16) ، التي رسمت الحدود السياسية الحالية لمعظم دول الوطن العربي ، اما دعاة الامة الاسلامية فان مفهوم الوطنية يشكل عندهم خطر كبير على وحدة المصير المشترك لجميع ابناء الامة الاسلامية من العرب وغيرهم وهو بذلك ياخذ مدى اوسع من مفهوم دعاة القومية العربية ليشمل جميع المسلمين في الشرق والغرب ، وان هناك دارين فحسب دار الايمان التي تشمل جميع البلاد الاسلامية وان كان فيها كثير من غير المسلمين فلا ضير في ذلك ، ودار الكفر التي تشمل جميع البلاد غير الاسلامية وان كان فيها بعض المسلمين ، وعليه يجب ان تكون مناهج تدريس التاريخ وفقا لهذا المفهوم ، وان تكون خالية من المفاهيم القومية والوطنية لان بلاد المسلمين كلها وطن واحد لا اوطان متعددة .

خامسا : العلمية :

مع ان المشكلة العلمية تبدو للوهلة الاولى لا علاقة لها بالتاثير على المجتمع بشكل مباشر ولا سيما في عالمنا العربي الذي قليلا ما يهتم بالامور العلمية او انها لاتكون من اولوياته على اقل تقدير ، ولذا امسينا في مؤخرة الركب الحضاري حتى انا لانجد جامعة عربية في اول خمسمائة جامعة عالمية (17) ولكن اذا رجعنا الى حقيقة الامر نجد ان للمشكلة العلمية دورا كبيرا ، بل ربما اذا تجاوزناها يكمننا ان نتجاوز بقية المشكلات الاخرى او على الاقل نخفف من حدتها اذ لا زالت مناهجنا الدراسية ثابتة لم يطرأ عليها تغيير من عقود خلت .

---

(16) هي الاتفاقية التي تمت بين بريطانيا وفرنسا في ايار من سنة 1916م قادها عن الجانب البريطاني السير مارك سايكس وعن الجانب الفرنسي سكرتير السفارة الفرنسية في لندن فرانسوا جورج بيكو ولذلك عرفت الاتفاقية بهذا الاسم نسبة اليهما ، ورسمت الحدود الحالية لكل من لبنان وسوريا وفلسطين والاردن والعراق . ينظر: علي محافظة ، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربية (1919 ــ 1945م) ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت : 1985) ص 42 .

(17) لاكثر من مرة نشر معهد التعليم العالي في جامعة جياو جونغ شنغهاي الصينية (Institute of University Higher Education, Shanghai Jiao Tong) تقريرا تقييميا مفصلا حول مكانة الجامعات من الناحية العلمية ورتب أفضل خمسمائة جامعة في العالم ، ولكن للاسف لا يوجد في التصنيف أي جامعة عربية مما يدل على انها اصبحت بمنأى عن الركب العلمي والحضاري الذي تتبارى فيه الجامعات العالمية بيمنا كان لاسرائيل سبع جامعات حاضرة في كل مرة .

ان المشكلات التي تحدثنا عنها آنفا كانت عينها موجودة في المجتمعات والدول في العالم المتقدم بل ربما كانت اكبر واعقد (18) لكن مفهوم الوطني الذي تكلمنا عنه انفا قد ذوب جميع الفروق العرقية والدينية والمذهبية ، ومن ثم كان تركيزهم صوب التقدم العلمي في المجالات المختلفة .

ان الاهتمام بتربية الانسان وتنشئته التنشئة الصحيحة وفق المعايير العلمية السليمة والاخلاق القويمة كفيلة بتجاوز كل المشكلات ، اننا في مجتمعنا العربي الكبير نعاني من سوء النظام التعليمي وتخلفه ، وبالنسبة للتاريخ تحديدا فالتعليم عندنا خاضع لاعتبارات عدة يكون العلم في اخرها ، وهذه الاعتبارات تختلف من بلد لاخر فهناك مناهج تركز على القومية وهناك مناهج تركز على الدين وهناك مناهج تركز على المذهبية وهناك مناهج تركز على الوطنية ، ولو جعلنا الجانب العلمي في الأولوية ورُبيَّت الأجيال على ذلك بالتأكيد سنحصل على نتائج طيبة بعد جيلين او ثلاثة اجيال شرط ان يبدا ذلك المنهج من رياض الاطفال والتعليم الابتدائي حتى الدراسات العليا ، لان وجود مجتمع متعلم ومثقف كفيل بإذابة العصبيات الدينية والمذهبية والقومية بل وحتى القبلية التي اصبحت لها مكانة كبيرة في بعض الدول العربية .

ان الدعوة للنهوض بالجانب العلمي ولا سيما في الدراسات التاريخية واستخدام المنهجيات الحديثة وتوظيف العلوم الاخرى لخدمتها لايعني مطلقا ــ كما سيظن البعض ــ تنحية الدين ــ الذي يعد الاساس في التعليم لدى الكثيرين ــ جانبا ، بل على العكس من ذلك فان تعاليم الاديان تحث على التعلم وطلب العلم ، كما ان الدين يحث على الفضيلة والعلم جزء من الفضيلة (19) .

مسألة مهمة متعلقة بالجانب العلمي (وما يهمنا هنا دائما تدريس التاريخ والبحث فيه) هو ضرورة ادخال مدرسي التاريخ دورات علمية وثقافية مركزة يتم من خلالها توجيههم

---

(18) على سبيل المثال لا الحصر ماحدث من صراع وتنافس بين الولايات الامريكية التي ادت الى الحرب الاهلية الامريكية سنة 1861 م ، ينظر : عبد المجيد نعنعي ، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث ، دار النهضة العربية (بيروت : 1983) ص 123 ، والصراع المذهبي الذي اجتاح اوربا في مطلع عصر النهضة بين الكاثوليك والبروتستانت الذي راح ضحيته الكثيرين ، ينظر : محمد محمد صالح ، تاريخ اوربا في عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (1500 ــ 1789) ، دار ابن الاثير (الموصل : 1981) ص 169 وما بعدها .

(19) كقول الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا : من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون ، دار احياء التراث العربي (بيروت : د / ت) ج5 ، ص 28 حديث رقم 2646 ، كما كان المسيح عليه السلام يُعلم ويحث على التعلم رغم الصعوبات التي كان يواجهها من اليهود انظر مثلا انجيل متى 7 / 15 ــ 19.

بكيفية التعامل مع الطلاب الذي يخالفونهم في الانتماء الديني والقومي والمذهبي ، كما هو معمول به في الدول المتقدمة اذ نلاحظ ان كثير من طلبة الجامعات ليسو من الوطن الاصلي بل هم لفيف من شتى بقاع الارض من مختلف الاعراق والقوميات والاديان والمذاهب ، وياخذون الشهادات العليا ويعودون الى بلدانهم وهم يحملون انطباعا جيدا عن تلك الجامعات واولئك الاساتذة الذين كثيرا ما يشيدون بعلميتهم امامنا كلما كان الحديث عن التقدم العلمي .

لا زال طلبة العلم عندنا بل واغلب الاساتذة ايضا لا يستطيعون تغليب الجانب العلمي على الجانب القومي والديني والمذهبي في البحث والتدريس في التاريخ بل على العكس من ذلك اذ وظف البعض الدراسات التاريخية في خدمة القومية والدين والمذهب واذا رجعنا الى حقيقة الامر فلا يوجد قوم ليس عندهم مناقب ولا يوجد قوم ليس فيهم مثالب سواء اخذنا الامر من زاوية القومية والعرق او من زاوية الدين والمذهب (والحديث دائما عن الاشخاص لا عن الاديان ولا الاعراق بذاتها) فالرسالات السماوية دعوتها كلها واحدة ومنبعها واحد لكن الخلل في اتباعها الذين احدثوا الانشقاقات والتحريفات فظهرت المذاهب والفرق في كل دين وكل يدعي الحق معه والباطل مع غيره ، وكذلك القوميات والاعراق فهي في اصلها واحدة فالجميع يعودون في اصلهم الى اب وام (ادم وحواء) فانتشروا في بقاع الارض وصنفوا انفسهم وتفاضلوا فيما بينهم وعلا بعضهم على بعض ، هذا الامر اذا فهمه مدرس التاريخ ونقله الى طلابه بشكله البسيط لتجاوزنا كثير من المشكلات التي تعصف بمجتمعنا العربي اليوم .